المجلة العربية للعلوم الإنسانية

ليست الهمزة أصل جميع أدوات الاستفهام

طلال وهبة*
حسن الأبيض**

* حصل على الدكتوراه في الألسنية من جامعة السوربون بفرنسا عام 1989.
يعمل مدرساً في قسم اللغة العربية بجامعة البلمند - لبنان.
** حصل على الماجستير في طرق تدريس اللغة العربية وآدابها من الجامعة اللبنانية عام 1982.
يعمل مساعد مدرس في قسم اللغة العربية بجامعة البلمند - لبنان.

1026-9576/97/15/58/178 - 216

الملخص

يندرج بحثنا في إطار مقاربة ألسنية للنحو العربي التقليدي بجميع أبوابه، في محاولة لتطبيق مقاييس منتقاة من الألسنية المعاصرة بغية تقعيد أكثر موضوعية للغة العربية.

فنبدأ بذكر ما ورد عند النحويين العرب، بخاصة ابن هشام، فيما يخص الاستفهام، مقدمين إيّاه على أوضح وجه ممكن تمهيدا لرفضه أو تعديله أو قبوله.

ويتمحور الجزء الأول من البحث حول المفاهيم الآتية:

أ - معادل الهمزة.

ب - التصوّر.

ج - التصديق.

فنناقش هذه «المفاهيم» وكيف ترتبط بباب الاستفهام، وتُستعمل من قبل النحويين- فيما عدا مفهوم الانتقاء -لاعتبار «الهمزة» أصل أدوات الاستفهام.

وبتحليلنا معاني الجمل التي تُستعمل فيها «الهمزة» للاستفهام ندحض قول النحويين بأن همزة الاستفهام تُستعمل لطلب التصور ولطلب التصديق، ونبيّن أنها تستعمل لطلب الانتقاء ولطلب التصديق، فهي تشترك مع «هل» بالاستفهام لطلب التصديق وتنفرد بالاستفهام لطلب الانتقاء.

ونخص الجزء الثاني من البحث بالحديث عن أسماء الاستفهام، فجميعها تُستعمل لطلب التصور ولا تستعمل لطلب الانتقاء ولا لطلب التصديق، ونُظهر طرق استعمالاتها في الجمل البسيطة موضحين ذلك بجداول بيانية، كما أننا نعبر عن طريقة تركيبها مع الوحدات الأخرى في الجمل البسيطة بوساطة معادلات وقواعد سياقية مبينين كيف يمكن دمج جميع معادلات أسماء الاستفهام في معادلة أساسية واحدة يضاف إليها معادلة تنفرد بها «مَنْ» ف «مَنْ» هي اسم الاستفهام الوحيد الذي يستوجب في أحد تراكيبه تقديم اسم غير مضمر عليه، فنقول: «أبو مَنْ هذا؟» في معنى يختلف جذريا عن قولك: «مَنْ أبو هذا» فإن قلت: «مَنْ أبوه هذا»؟ أدخلت الهاء على التركيب الأصلي: «أبو مَنْ هذا»؟.

وبذلك تنفرد «مَنْ» بميزة موضوعية عن باقي أسماء الاستفهام، فهي أصل أسماء الاستفهام لطلب التصور، وتبقى الهمزة أصل حَرْفَيْ الاستفهام -«الهمزة» و«هل» لطلب التصديق- ولأنها تزيد عن «هل» تُستعمل لطلب الانتقاء أيضا.

إطار البحث

نسعى في هذا البحث وما سيتبعه من بحوث إلى قراءة تحليلية للحديث النحوي عند ابن هشام وسائر نحويي العرب، ونكشف من خلاله المنطق النحوي والصرفي الذي اعتمده النحويون العرب في تحليلهم العناصر اللغوية وتفسيرها وتصنيفها. ونستعين بالألسنية المعاصرة لاكتساب عناصر تحليلية تفتح أمامنا آفاقا جديدة تكون عونا لنا على فهم خلّاق ومتناسق لما كتبه النحويون العرب.

الهدف من عملنا هذا هو نقض مقولات النحويين العرب أو تأييدها بالاستناد إلى ما تعتبره الألسنية المعاصرة مقاييس موضوعية. والبحث المرفق شاهد على كيفية تطبيقنا هذه المقاييس.

أما من الناحية التعليمية فمما لا شك فيه أن تطبيق مقاييس موضوعية في البحث يمكن أن ينتج عنها مادة نحوية تعليمية جديدة تنمّي عند الطالب المنطق النحوي، وتساعده على توظيفه في تواصله الشفاهي والكتابي.

ونهدف من بحثنا هذا إلى:

أ - التعبير عن القواعد التي تخص أدوات الاستفهام بصياغة «شكلانية» يعبرَّ عنها بجداول ومعادلات وقواعد سياقية وقواعد عامة، بحيث:

١ - تكون اللغة التقعيدية المستعملة غير قابلة لازدواجية التفسير.

٢ - وتكون هذه المعادلات والقواعد السياقية والقواعد العامة قابلة للدمج والتعميم بحيث توصلنا إلى قواعد لغوية شاملة لا تُهمل في شموليتها دقائق الاستعمالات اللغوية.

ب - إدخال محور العلاقة التبادلية بين المتكلم والسامع لتضبط استعمالات أدوات الاستفهام، ولتعطيها بعدها الواقعي في الاستعمال اللغوي، فنقترب في الجوانب التطبيقية من بحثنا من حقيقة اللغة، وكيفية عيشها من قبل المتخاطبين. فلا حاجة لقواعد لغوية إن لم تستند إلى واقع معاش،

فالمعطيات «الأمبيرية»؛ أي الظواهر اللغوية، هي أساس العلم اللغوي في نظرنا، ولا بد من دراستها في وضع معاش حيّ.

وينتج من هذه المقاربة إعادة النظر في القاعدة النحوية التي تقول إن الهمزة أصل أدوات الاستفهام.

1 - معادلة الاستفهام لطلب الانتقاء والتصديق

1 - ماورد عند ابن هشام[1]

يستخدم ابن هشام في تحليله الآيات القرآنية التي وردت فيها أداة الاستفهام المفاهيم الآتية: «معادل الهمزة» و«الخبر». فاعتبر أن: «أَمَن هُوَ قانِتُ آناءَ اللّيلِ» (سورة الزمر 39: الآية: 9و 10).

(مثال 1) تقديره، إن كانت الألف للاستفهام المجازي، «أَمَن هُوَ قانِتُ خيرٌ أم هذا الكافرُ»، فذكر أن «أم» معادل الهمزة و«خير» خبر. واعتبر أنه يمكن التقدير «أَمَن هُوَ قانِتٌ كمن ليس كذلك». فترك الحديث عن المعادل -انظر معجم المصطلحات في آخر البحث- للتقدير الأول، واعتبر التقدير الثاني تقديرا للخبر «كمن ليس كذلك».

وذكر أمثلة أخرى في هذا المضمار، فقال: إن التقدير في «فما أدري أرُشدٌ طلابها» (مثال 2) هو «فما أدري أرشدٌ طلابُها أم غيّ؟» وفي «أَفَمَن هُوَ قائِمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَت» (سورة الرعد 33:13) (مثال 3) هو «أَفَمَن هُوَ قائِمٌ على كلِّ نَفسٍ بما كسَبَت، كَمَن ليس كذلك؟»، وفي «أَفَمَن يتّقي بِوجهِه سُوء العذابِ يومَ القيامةِ» (سورة الزمر 24:39) (مثال 4) هو «أَفَمَن يتّقِي بوجهِهِ سُوءَ العذابِ يومَ القيامةِ، كمن ينعم في الجنّةِ؟» وفي «أَفَمَن زُيّنَ له سُوءُ عَمَلِه فرآهُ حسنا» (سورة فاطر: 8) (مثال 5) هو «أَفَمَن زُيّن له سوءُ عمله فرآه حسنا، كمن هداه الله». وفي «كَمَن هُوَ خالدٌ في النار وسُقُوا ماءً حمِيماً» (سورة محمد 15:47) (مثال 6) هو «أَمَن هو خالدٌ في الجنّة، كمن هو خالدٌ في النار؟».

ونريد أن نتناول، في هذا المقطع، بالتحليل الجمل التي قدّرها النحويون وأدخلوا فيها «أم».

يُعْرَبُ إجماليا التقدير في المثال (1) كالآتي: «أ»: همزة الاستفهام هو قانت: جملة اسمية في محل رفع مبتدأ.

«خير»: خبر «هو قانت».

«أم»: معادل الهمزة، تعطف «من هو قانت» على «هذا الكافر».

هذا الكافر: المبتدأ ونعته. والنعت تابع، والتابع جزء من المتبوع. والخبر محذوف تقديره «خير».

وبهذا يكتمل تقدير ابن هشام بزيادة خبر هذا «خير» على الجملة فيكون التقدير:

«أَمَن هو قانِتٌ خيرٌ أم هذا الكافرُ خيرٌ».

فإذا أحللنا الوظائف النحوية للكلمات مكان هذه الكلمات حصلنا على المعادلة -أ- الآتية- انظر معجم المصطلحات في آخر البحث:

أداة الاستفهام + مبتدأ + خبر + معادل الهمزة + مبتدأ + خبر.

-انظر بالنسبة للإشارة + معجم المصطلحات في آخر البحث-

لننظر الآن في الأمثلة الأخرى المستعملة فيها «أم» ولنر إذا كانت المعادلة المقترحة تعبّر عن تركيبها الوظيفي.

فتقدير ابن هشام المثال الثاني: «أرْشدٌ طلابُها أَم غَيّ؟».

أ: همزة الاستفهام.

رشدٌ: خبر طلابها مقدم.

طلابُها: مبتدأ مؤخر أُضيف إلى «ها».

أمْ: معادل الهمزة.

غَيّ: خبر مبتدؤه محذوف تقديره «طلابها».

ويكتمل تقدير ابن هشام بزيادة «طلابها» في آخر الجملة وبإعادة المبتدأ «طلابها» إلى موضعه الأصلي نحصل على تركيب مساو للمعادلة المذكورة أعلاه:

أداة استفهام «أ» + مبتدأ «طلابها» + خبر «رشد» + معادل الهمزة «أم» + مبتدأ «طلابها» + خبر «غي».

ونود أن نتساءل هنا عن علاقة التقدير الأول للمثال (1) بالتقدير الثاني للمثال نفسه؛ الأول: أَمَن هُوَ قانتٌ خيرٌ أم هذا الكافرُ خيرٌ».

الثاني: «أَمَن هُوَ قانتٌ كمن ليس كذلك».

من البيّن أنّ المعنى لم يتغير، وإنما تمّ توضيحه بطريقتين مختلفتين؛ ففي التقدير الأول وصلت «أم» بين جملتين اسميتين. وفي التقدير الثاني، وصلت «الكاف» بين جملتين اسميتين. ولكن احتفاظ ابن هشام بـ مفهوم - انظر معجم المصطلحات في آخر البحث- معادل الهمزة للحديث عن «أم» كما ترى في التقدير الأول، يُغشي هذا التشابه. ف «مَنْ هُوَ قانتٌ» جملة اسمية من مبتدأ وخبر: «مَنْ» مبتدأ، هُوَ قانتٌ: خبر «مَنْ»؛ و«مَنْ» ليس كذلك «جملة اسمية من مبتدأ وخبر: «مَنْ»: مبتدأ، «ليس كذلك»: خبر «مَنْ».

لنقارن الآن بين المعادلة -أ- المذكورة أعلاه، وتحليلنا لجملة «أَمَنْ هُوَ قانتٌ كمن ليس كذلك؟». من البيّن أن هذه الجملة تملك همزة استفهام ومبتدأ وخبر في أولها، ومبتدأ وخبر في آخرها كما المعادلة. والهمزة تمثل أداة الاستفهام المذكورة في المعادلة.

2 - تعميم «مفهوم» «معادل الهمزة»:

وإذا خالفنا ابن هشام ولم نعتبر أنّ تسمية معادل الهمزة محصورة بـ«أمْ» بل جعلناها تسمية لكل كلمة تلحق بالتركيب: «حرف استفهام + مبتدأ + خبر». وتقع في بدء تأليف تركيب آخر هو: مبتدأ + خبر توصلنا إلى تعميم «مفهوم» معادل الهمزة ليشمل الكاف أيضا. فلا يكون من الضروري أن يتحقق «مفهوم» معادل الهمزة بـ«أم» فقط بل بالكاف أيضا. فيصبح «معادل الهمزة» اسما لصنف من الكلمات له دور الوصل بين جملتين اسميتين تبتدىء الأولى منهما بأداة استفهام.

وبذلك تكون المعادلة -أ- معبرة عن تركيب التقديرين: «أَمَنْ هُوَ قانتٌ خيرٌ أمْ هذا الكافرُ خيرٌ» و«أَمَنْ هُوَ قانتٌ كمن ليس كذلك».

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ	مَنْ هُوَ قانتٌ	أمْ	هذا الكافر خيرٌ
أ	من هُوَ قانتٌ	كَ مَنْ	ليس كذلك

وينطبق هذا التحليل على كل تقدير أورده ابن هشام بزيادة «كمن ليس كذلك».

فتقدير «أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ» «أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ كمن ليس كذلك».

وتنطبق المعادلة (أ) هنا على الشكل الآتي:

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ	فَمَنْ هو قائم على كل نفس بما كسبت	كَ من	ليس كذلك

وينطبق هذا التحليل أيضا على كل تقدير دخل فيه مبتدأ وخبر بعد الكاف. فعند ابن هشام تقدير «أَفَمَنْ يتّقي بوجهه سُوءَ العذابِ يومَ القيامةِ» «أَفَمَنْ يتّقِي بوجهه سُوءَ العذابِ يومَ القيامةِ كمن ينعمُ في الجنّةِ».

وتنطبق المعادلة -أ- على هذا التقدير بالشكل الآتي:

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ	فَمَنْ يتّقِي بوجهه	كَ مَنْ	ينعم في الجنّة

وتقدير «أَفَمَنْ زُيِّنَ له سُوْءُ عملِه فرآهُ حسناً» «أَفَمَنْ زُيّنَ له سُوْءُ عملِهِ فرآهُ حسناً كمن ليس كذلك».

وكذلك تنطبق هنا المعادلة -أ- كالآتي:

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ مَنْ	زُيِّنَ له...	ك مَنْ	هداه الله

وذكر ابن هشام مثالاً حذف منه ما اعتبرناه الجزء الأول من المعادلة: أداة استفهام + مبتدأ + خبر. فتقدير «كمن هو خالد في النار».

«أَمَنْ هُوَ خالدٌ في الجنّةِ كمنْ هُوَ خالدٌ في النارِ»

وتنطبق المعادلة على هذا التقدير كالآتي:

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ مَنْ	هو خالد في الجنّة	ك مَنْ	هو خالد في النار

ويورد ابن هشام مثالين تنطبق عليهما المعادلة بدون تقدير؛ إذْ صرح فيهما بأجزاء حذفت في الأمثلة السابقة.

والمثال الأول هو: «أوَ مَنْ كان مَيْتاً... كَمَنْ مَثَلُه في الظلماتِ».

والثاني هو: «أَفَمَنْ كان على بيِّنَةٍ مِنْ رَبهِّ، كَمَنْ زُيِّنَ له سُوْءُ عملِه» (سورة محمد: 14).

وتنطبق المعادلة على هذين المثالين كالآتي:

أداة استفهام + مبتدأ	+ خبر	+ معادل الهمزة + مبتدأ	+ خبر
أ ومَنْ	كان ميتا	ك مَنْ	مثله في الظلمات
أ فمن	كان على...	ك مَنْ	زُيِّنَ له سوء عمله

3 - التصوّر والتصديق

وذكر ابن هشام والنحويون أنّ الهمزة ترد لطلب التصوّر، - انظر معجم المصطلحات في آخر البحث- مثال «أزيدٌ قائمٌ أمْ عمرو؟»، ولطلب التصديق، - انظر معجم المصطلحات في آخر البحث- مثال «أزيدٌ قائمٌ؟» (يُجاب عن هذا السؤال بنعم أو لا).

أما «هل» فتستعمل فقط لطلب التصديق، كأن تقول «هل جاء زيدٌ؟».

وأما الأدوات الباقية فهي أسماء لا تُستعمل إلا لطلب التصوّر، فتقول: «مَنْ جاءَ؟».

«ما فعلتَ؟»

«ماذا عندكَ؟»

«متى ترحلُ؟»

«أيّان ذاكَ؟»

«أين تسكنُ؟»

«كيف تعيشُ؟»

«أنّى هو؟»

«كمْ مرةً أكلتَ؟»

«أيَّ رجلٍ رأيتَ؟»

وإذا تمعّنا في الأمثلة المذكورة في المقاطع السابقة من بحثنا نرى أنّ ورود همزة الاستفهام لطلب التصوّر يوجب كمعادل للهمزة «أم»، وورود همزة الاستفهام لطلب التصديق يوجب كمعادل للهمزة الكاف. ويكون الجواب على «أمَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟» «مَنْ هو قائمٌ خيرٌ» أو «من هو جالس خيرٌ». ويكون الجواب على «أمَنْ هو قائمٌ كمنْ هو جالسٌ؟» وعلى «أمن هو قائم كمن ليس كذلك؟» «نعم» أو «لا».

هذا بالنسبة للأمثلة المذكورة، أما الهمزة في جملة «أَزيدٌ قائمٌ؟» فهي لطلب التصديق ولا توجب ذكر معادل، إذ يمكن السكوت على «قائم» مع جواز القول «أزيدٌ قائمٌ أم عمرو (قائم)» -فتكون الألف عندئذ، بحسب ابن هشام والنحويين للتصوّر-.

فلا بدّ إذن من إظهار احتمال عدم ورود الجزء الثاني من المعادلة -أي: معادل الهمزة + خبر + مبتدأ-. ونُظهر ذلك بوضع الجزء الثاني بين هلالين، ونعني أنه يجوز له أن يتحقّق و ألّا يتحقق:

أداة استفهام: الهمزة + مبتدأ + خبر + (معادل الهمزة + مبتدأ + خبر)[2]

- انظر بالنسبة لاستعمال الهلالين معجم المصطلحات في آخر البحث- وبذلك تؤدي المعادلة معنيين نحويين مختلفين -التصوّر أو التصديق-، ولها ثلاثة تحقيقات هي كالآتي:

معادلة -أ1-:

همزة استفهام للتصوّر + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

معادلة -أ2-:

همزة استفهام للتصديق + مبتدأ + خبر + الكاف + مبتدأ + خبر

معادلة -أ3-:

همزة استفهام للتصديق + مبتدأ + خبر

ونفضّل بدلًا من ذكر ثلاث معادلات الاحتفاظ بمعادلة واحدة، المعادلة -أ-، وإدخال قاعدة سياقيّة مطّردة تنصّ على الآتي:

قاعدة سياقيّة -أ-:

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب التصوّر يكون معادل الهمزة «أم».

أما

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب التصديق يكون معادل الهمزة الكاف،

أو لا يتحقّق معادلها وما يتبعه البتّة.

وتكون المعادلة -أ- كالآتي:

همزة استفهام + مبتدأ + خبر + (معادل الهمزة + مبتدأ + خبر)[3]

4 - نقد طبيعة الهمزة عند النحويين: الانتقاء

ويذكر ابن هشام أنّ الهمزة أصل أدوات الاستفهام لأنه باستطاعتها أن ترد للتصوّر وأن ترد للتصديق، أي لأنها تملك هذين الاحتمالين في حين لا تملك كلّ من أدوات الاستفهام الأخرى إلا احتمالاً واحداً. وقد عبّرنا عن ذلك بالمعادلة -أ- والقاعدة السياقيّة -أ-.

وكما ذكرنا، يرى ابن هشام والنحويون أنّ «من» و«ما» و«كم» و«أين» و«متى» و«ماذا» و«أيّان» و«كيف» و«أنّى» و«أي» ترد للتصوّر كما ترد الهمزة في أحد احتمالاتها لاستفهام التصوّر. ويفترض هذا من وجهة نظرنا أن نتمكّن من استبدال أدوات الاستفهام المذكورة، على التوالي، بهمزة الاستفهام في المعادلة -أ1-. فتكون المعادلات التالية صحيحة:

من الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

ما الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

كم الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

أين الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

متى الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

ماذا الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

أيان الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

كيف الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

أنّى الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

أي الاستفهامية + مبتدأ + خبر + أم + مبتدأ + خبر

ولكي تكون المعادلات العشر المذكورة صحيحة لا بدّ أن تكون الجمل التالية صحيحة:

مَنْ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

ما مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

كَمْ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

أيْنَ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

متى مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

ماذا مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

أيّانَ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

كيف مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

أنّى مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟

أيُّ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟[4]

من الواضح أنّ الجمل الناتجة عن إدخال الأدوات المختصّة بطلب التصوّر مكان همزة الاستفهام للتصوّر غير صحيحة.

ونفسّر ذلك بأنّ النحويين قد أخطأوا في اعتبار ألف الاستفهام ترد لطلب التصوّر. فعندما تستفهم بـ«مَنْ» مثلاً، يكون استفهامك لطلب التصوّر؛ لأن الجواب عن سؤالك لا يُشترط فيه إلا أن يدلّ على فردٍ ما والباقي تحدده إجابة السامع. أما حين تقول «أَمَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟» فإنك تدعو السامع إلى الانتقاء بين احتمالين فقط حددتهما مسبقاً بجملتك.

لذا ندعو إلى تسمية الاستفهام بالهمزة تبعاً للمعادلة -أ 1- **استفهاماً للانتقاء**- انظر معجم المصطلحات في آخر البحث- أو استفهام انتقاء، إذ هو دعوة السامع إلى الانتقاء بين احتمالين يحددهما السائل. وبذلك يجب إحلال تعبير «همزة للانتقاء» مكان «همزة للتصوّر» في المعادلات السابقة[5].

5 - معادلة الاستفهام لطلب الانتقاء ولطلب التصديق

أما بالنسبة لأداة الاستفهام «هل» -وهي مختصّة بطلب التصديق-، فمن الممكن إدخالها مكان همزة الاستفهام في اثنين فقط من فروع المعادلة -أ-. فلا يجوز أن تقول: «هلْ مَنْ هو قائمٌ خيرٌ أمْ مَنْ هو جالسٌ؟» إذ إنّ هذا السؤال لطلب الانتقاء كما ذكرنا، و«هل» مختصة بطلب التصديق. وبهذا لا يمكن إحلال «هل» مكان الألف في المعادلة -أ 1-.

ولكن يجوز أن تقول: «هلْ مَنْ هو قائمٌ كمَنْ هو جالسٌ؟» تحقيقاً للمعادلة -أ 2- مع إحلال «هل» مكان الهمزة. ويجوز أن تقول «هل زيد قائم؟» تحقيقاً للمعادلة -أ 3- مع إحلال «هل» مكان الألف.

ونحصل بذلك على معادلتين لا تختلفان عن المعادلتين -أ 2- و-أ 3- إلا بوجود «هل» مكان همزة الاستفهام للتصديق:

معادلة -أ 2- مكرر-:

هل + مبتدأ + خبر + الكاف + مبتدأ + خبر

معادلة -أ 3- مكرر-:

هل + مبتدأ + خبر

ويمكن توحيد المعادلتين اللتين تدخل فيهما «هل» مع المعادلتين اللتين تدخل فيهما الهمزة (أ 2 وأ 3)، بإحلال عبارة أداة استفهام للتصديق مكان «هل» والهمزة معاً. فينتج عن ذلك المعادلتان التاليتان:

معادلة -أ 2- موحَّد -:

أداة استفهام للتصديق + مبتدأ + خبر + الكاف + مبتدأ + خبر

معادلة -أ 3- موحّد -:

أداة استفهام للتصديق + مبتدأ + خبر

وبذلك تكون المعادلة -أ- كالآتي:

أداة استفهام + مبتدأ + خبر + (معادل الهمزة + مبتدأ + خبر).

زيادة على ذلك لم يعد المعادل الخبر الأول معادلاً للهمزة فقط، فحين تبدأ الجملة بـ «هل» يُستحسن تسمية المعادل معادل «هل». وبذلك لا بدّ من تغيير تسمية معادل الهمزة في المعادلة -أ- لكي تشمل معادل «هل». فتصبح المعادلة -أ- كالآتي:

أداة استفهام + مبتدأ + خبر + (معادل أداة الاستفهام + مبتدأ + خبر)

حيث أحللنا «معادل أداة الاستفهام» مكان «معادل الهمزة».

وتنطبق على هذه المعادلة القاعدة السياقيّة -أ- المذكورة أعلاه. ويضاف إلى هذه الأخيرة التعبير عن إمكانيّة أن تكون أداة الاستفهام «الهمزة» أو «هل» لتصبح كالتالي:

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب الانتقاء يكون معادل الهمزة «أم»

أما

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب التصديق أو «هل»:

يكون معادل الهمزة الكاف،

أو

لا يتحقّق معادلها وما يتبعه البتّة.

ولمزيد من التجريد في تمثيل المعادلة -أ- يمكن إحلال عبارة «جملة إسميّة» مكان «مبتدأ + خبر». فتكون المعادلة -أ- كالتالي:

أداة استفهام + جملة اسميّة + (معادل أداة الاستفهام + جملة اسميّة) ترتبط بها إضافة إلى القاعدة السياقيّة -أ-،

القاعدة العامة -أ- التالية:

لا تتحقق أداة الاستفهام في المعادلة -أ- إلا بالهمزة أو «هل». ولا يتحقّق معادلها إلا بـ«أم» أو الكاف.

6 - الجملة الفعلية

نلاحظ أنّ المعادلة التي وضعناها على ضوء أمثلة ابن هشام لا تتطرّق إلى الجملة الفعلية، بل تختصّ بالجملة الاسميّة. فماذا لو أحللنا عبارة «جملة فعليّة» مكان «جملة اسميّة» في المعادلة -أ-، هل ينتج عنها جملة صحيحة؟ لنفترض المعادلة التالية:

أداة استفهام + جملة فعليّة + (معادل أداة الاستفهام + جملة فعليّة)

يمكن أن ينتج عن هذه المعادلة الجمل التالية:

«أقام زيدٌ أم جلسَ؟» وهي صحيحة

«أقام زيدٌ؟» وهي صحيحة

«أقام زيدٌ كجلسَ؟» وهي غير صحيحة

«هل قام زيدٌ أم جَلسَ؟» وهي غير صحيحة بحسب النحو العربي لأنّ «هل» لا تستعمل إلا للتصديق.

«هل قام زيدٌ كجلسَ؟» وهي غير صحيحة

«هل قام زيدٌ؟» وهي صحيحة

فالجمل الصحيحة هي: «أقام زيدٌ أمْ جلسَ؟» و«أقام زيد؟» و«هل قام زيدٌ؟»

وهذه الجمل هي على التوالي تمثيل للمعادلات التالية:

همزة استفهام لطلب الانتقاء + جملة فعليّة + أم + جملة فعليّة.

همزة استفهام لطلب التصديق + جملة فعليّة.

«هل» لطلب التصديق + جملة فعليّة.

وبذلك لا يمكن للكاف أن تكون معادلاً في حال دخلت جملة فعليّة مكان الجمل الاسميّة. ويصبح من الضروري تغيير المعادلة -أ- بشكل يسمح بإدخال

الجملة الفعلية فيها، وتغيير القاعدة السياقية -أ- بشكل يسمح بالتعبير عن إبعاد الكاف كمعادل أداة استفهام بين جملتين فعليتين. فتصبح المعادلة -أ- كالتالي:

أداة استفهام +{جملة اسميّة / جملة فعليّة} + (معادل أداة الاستفهام +{جملة اسميّة / جملة فعليّة})

-يعني استعمال الحاصرتين- { }- أنه يجب اختيار عنصر فقط مما بداخلهما، انظر معجم المصطلحات في آخر البحث-

وتصبح القاعدة السياقيّة -أ- كالآتي:

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب الانتقاء يكون معادل الهمزة «أم»

أما

إذا كانت أداة الاستفهام الهمزة لطلب التصديق أو «هل»:

يتحقق معادل الهمزة بالكاف وذلك فقط إذا كانت جملتا المعادلة اسميّة،

أو

لا يتحقّق معادلها وما يتبعه البتّة.

والصحيح في تقديرنا ألا تقول «أعاد زيدُ أمْ صاحبهُ عاد؟» ولا «أزيدٌ عاد أمْ ذهب زيدٌ؟». لأنه إن كان السؤال عمّن عاد يجدر القول: «أزيد عاد أم صاحبه؟»-، وإن شئت زيادة فعل مع «صاحبه» أو تقديره، زدته و قدّرته بعده وليس قبله: «أزيدٌ عاد أمْ صاحبُه عادَ؟». وإن كان السؤال عمّا فعل زيد، يجدر القول: «أعاد زيدٌ أمْ ذهبَ؟»، وإن شئت زيادة أو تقدير «زيد» مع «ذهب»، قدّرته بعده وليس قبله: «أعاد زيد أم ذهب زيد؟». فما يقع مع «ذهب»، قدّرته بعده وليس قبله: «أعاد زيد أم ذهب زيد؟». **فما يقع بعد الهمزة هو المسؤول عنه، وتوضع كلمة من صنفه بعد «أم»**. فإن كانت الجملة بعد الهمزة اسميّة تكون كذلك بعد «أم»، وإن كانت فعليّة تكون كذلك بعد «أم»[6].

وعلى ضوء ذلك يصبح من الضروري زيادة قاعدة سياقيّة جديدة.

القاعدة السياقيّة -ب-

تكـون الجمـل التـي يجمـع بينـها معـادل أداة الاستفهام من صنف واحد -اسميّة أو فعليّة-.

7 - محصلة أولى

ونكون بذلك قد حصرنا القواعد الأساسية المتعلّقة باستعمالات همزة الاستفهام و«هل» في معادلة: المعادلة -أ- وقاعدتين سياقيتين -أ و ب- وقاعدة عامة -أ- (هي للتذكير: لا تتحقق أداة الاستفهام في المعادلة -أ- إلا بالهمزة أو «هل». ولا يتحقّق معادلها إلا بـ«أم» أو الكاف).

ونكون أيضاً قد دحضنا تسمية ابن هشام لأحد استعمالات همزة الاستفهام: استفهام لطلب التصوّر، وأبدلنا به تسمية: استفهام لطلب الانتقاء.

II - المعادلة الأساسية لطلب الاستفهام للتصور

لقد بينا في الفقرة 1-4 أن المعادلة التي تخص همزة الاستفهام لطلب الانتقاء لا يمكن أن تستعمل لتحقيق الاستفهام بـ«مَنْ» أو «ما» أو «كمْ» أو «أين» أو «متى» أو «ماذا» أو «أيّان» أو «كيف» أو «أنّى» أو «أي».

ويبقى أن نكشف عن المعادلات التي تحكم استعمال هذه الأسماء[7].

ونقتصر على استعمالها في جمل بسيطة؛ أي تملك الحد الأدنى من الوحدات التركيبية لكي تكون مفيدة. وهذه الوحدات التركيبية تقع معظمها بعد اسم الاستفهام، وهي: فعل أو ظرف يتبعه مضاف إليه، أو جار ومجرور، أو اسم غير مضمر، أو ضمير منفصل، أو صفة أو اسم إشارة، أو فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر.

1 - استعمالات «مَنْ»

ويُستفهم ب «مَنْ» عن العاقل.

وجميع الوحدات التركيبية المذكورة تقع بعد «مَنْ» باستثناء المصدر، فلا تقول:

مَنِ الرحيلُ؟. وتقول:

- مَنْ جاءَ؟
- مَنْ عندكَ؟
- مَنْ في الدارِ؟
- مَنِ السيدُ؟
- مَنْ مجتهدٌ؟
- مَنْ أنتَ؟
- مَنْ ذاكَ؟
- مَنِ الضاربُ؟
- مَنِ المضروبُ؟

وتؤخر «مَنْ» وجوبا في حالة واحدة إذا كان ما قبلها اسم غير مضمر، ولهما (أي للاسمين) مدلول واحد، مثال ذلك أن تقول: أبو مَنْ أنتَ؟ أبو مَنْ حسنٌ؟ كتابُ مَنْ هذا؟... فإن قلت: مَنْ أبوكَ؟ ومَنْ أبو حسن؟ لَمَنْ الكتابُ هذا؟ فقدمت مَنْ، فلم يعد للاسمين (الاسم الذي قبل مَنْ والاسم الذي بعد مَنْ) مدلول واحد، فتأخير مَنْ أو تقديمها يوجبه قصد المتكلم، ومتطلبات التخاطب مع السامع.

2 - استعمالات «ما»

وتستفهم بـ «ما» عن غير العاقل.

وجميع الوحدات التركيبية المذكورة تقع بعد «ما» باستثناء الصفة، فيثقل القول: ما قبيحُ؟ أو ما جميلُ؟. وتقول:

- ما حدثَ؟

- ما عندكَ؟
- ما في الدارِ؟
- ما الأمرُ؟
- ما هُوَ؟
- ما هذا؟
- ما الغالبُ؟ (عندما ترى حيوانين يتقاتلان)
- ما المسروقُ؟
- ما العملُ؟

3 - استعمالات «ماذا» (باعتبارها وحدة لا تتجزأ)

يُستفهم بـ «ماذا» عن غير العاقل.

ولا يمكن أن تقع «ماذا» إلا قبل: فعل أو ظرف أو جار ومجرور، ويثقل وقوعها قبل مصدر، كأن تقول: ماذا العملُ؟ ولا يجوز أن تقع قبل اسم غير مضمر أو صفة أو اسم إشارة أو اسم فاعل أو اسم مفعول، فلا تقول: ماذا الأمرُ؟ ولا ماذا قبيحٌ؟ ولا ماذا هو؟ ولا ماذا ذاك؟ ولا ماذا الغالبُ؟ ولا ماذا المسروقُ؟

على اعتبار «ماذا» وحدة لا تتجزأ، وتقول:

- ماذا حدثَ؟
- ماذا عندكَ؟
- ماذا في المحفظةِ؟. أو ماذا معكَ؟

4 - استعمالات «متى»

ويستفهم بـ «متى» عن الزمنين: الماضي والمستقبل.

ولا يمكن أن تقع «متى» إلا قبل: فعل أو اسم غير مضمر أو ضمير منفصل أو اسم اشارة (إن دل على حدث) أو مصدر، فلا تقول: متى عندك؟ ولا متى المسروقُ؟

ولا متى في الدار؟ ولا متى قبيحٌ؟ ولا متى الغالبُ؟. وتقول:

- متى ترحلُ؟
- متى الامتحانُ؟
- متى هوَ؟ (ورد في القرآن في سورة الإسراء، الآية 51: «**ويقولون متى هُوَ**»)[8]
- متى ذاكَ؟ (سؤال يأتي بعد قول: سأترك الدارَ)
- متى الرحيلُ؟

5 - استعمالات «أيّان»

ويُستفهم بـ«أيّان» عن الزمان المستقبل فقط.

واستعمالاتها مثل «متى»، فتقول:

- أيّان ترحلُ؟
- أيّان الامتحانُ؟
- أيّان هو؟
- أيّان ذاكَ؟
- أيّان الرحيلُ؟

6 - استعمالات «أَيْنَ»

يُستفهم بـ«أين» عن المكان.

ولا يمكن أن تقع «أين» قبل: ظرف أو جار ومجرور أو صفة، فلا تقول: أين عندكَ؟ ولا أين في الدار؟ ولا أين قبيحٌ؟، وتقول:

- أين ترحلُ؟
- أين الكتابُ؟
- أين هو؟
- أين ذاكَ؟
- أين الفاعلُ؟
- أين المشروبُ؟
- أين الأكلُ؟

7 - استعمالات «كيف»

ذكر النحويون أنه يُستفهم بـ«كيف» عن حالة الشيء. وفي رأينا أنه يُستفهم بها عن طريقة إنجاز عمل ما، كأن تقول: «كيف ترحلُ؟»، كما يستفهم بها عن حالة الشيء، كأن تقول: «كيف الأمرُ؟».

ولا يمكن أن تقع «كيف» قبل ظرف أو جار ومجرور أو صفة، فلا تقول: كيف عندك؟ ولا كيف في الدار؟ ولا كيف قبيح؟ وتقول:

- كيف ترحلُ؟
- كيف الأمرُ؟
- كيف هو؟
- كيف ذاكَ؟
- كيف الضاربُ؟
- كيف المضروبُ؟
- كيف الرحيلُ؟

8 - استعمالات «أنّى»

تستعمل «أنّى» الاستفهامية بمعنى «كيف» وبمعنى «من أين» وبمعنى «متى».

ولا يمكن أن تقع قبل: ظرف أو صفة، فلا تقول: أنّى عندكَ؟ أنّى قبيحٌ؟ وتقول:

- أنّى ترحلُ؟ (بمعنى كيف أو متى)
- أنّى لي؟ (بمعنى من أين)
- أنّى الأمرُ؟ (بمعنى كيف أو متى)
- أنّى هو؟ (بمعنى كيف)
- أنّى ذاكَ؟ (بمعنى كيف)
- أنّى الضاربُ؟ (بمعنى كيف)
- أنّى المضروبُ؟ (بمعنى كيف)
- أنّى الرحيلُ؟ (بمعنى كيف)[9]

9 - استعمالات «كم»

يُستفهم بـ «كم» عن العدد، ويشترط وجود تمييز ظاهر أو مضمر بعدها. فإن قلتَ: كم سرتَ؟ تقدِّر تمييزاً بعد «كم» (فرسخاً، متراً). ويكون التمييز اسماً غير مضمر أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدراً، وينتفي بذلك وقوع أيٍّ من الوحدات التركيبية المذكورة مباشرة بعدها باستثناء الاسم غير المضمر أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو المصدر، فتقول:

- كم مرةً أكلتَ؟
- كم غالباً رأيتَ؟
- كم مضروباً أنقذتَ؟
- كم عملاً أنجزتَ؟

أما ما يقع بعد التركيب المؤلف من «كم» والتمييز فيشمل:

الجملة الفعلية: -كم مرةً وقع زيدٌ؟

والظرف: -كم كتاباً عندكَ؟

والجار والمجرور: -كم رجلاً في الدارِ؟

ويجوز أن تقدم «زيداً» على «وقع» و«عندك» على «كتاب» و«في الدار» على «رجل». ويقع الاسم غير المضمر واسم الإشارة واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر بعد «كم» وتمييزها بشرط أن تكون هذه الوحدات التركيبية مضاف إليها اسم يدل على «الكم» (وزن، كلفة...) أو موصوفة، فتقول عندما تضيف إليها اسما يدل على الكم:

- كم رطلاً وزنُ الكيسِ؟ («الكيس» مضاف إليها «وزن»)
- كم رطلاً وزنُ هذا؟
- كم درهماً أجرُ العاملِ؟
- كم فلساً ثمنُ المسروقِ؟
- كم درهماً كلفةُ العملِ؟

وإن شئت تقديم المضاف إليه على المضاف في الجمل السابقة ألحقت بالمضاف ضميراً يعود إلى المضاف إليه حتى تستقيم الجملة، فتقول:

- كم رطلاً الكيسُ وزنهُ؟

أما وقوع الموصوف بعد الوحدات التركيبية المذكورة فمثاله:

- كم درجةً زيدٌ قبيحٌ؟
- كم درجةً هو قبيحٌ؟
- كم درجةً هذا قبيحٌ؟
- كم متراً العاملُ طويلُ؟
- كم درجةً المسروقُ عظيمٌ؟

- كم درجةً العملُ متعبٌ؟

أما الضمير الواقع مباشرة بعد «كم» والتمييز فيشترط أن يكون موصوفاً، فتقول:

- كم درجةً هو جميلٌ؟
- كم هي جميلةٌ؟

ويجوز في جميع الوحدات التركيبية المذكورة أعلاه أن يقع نعتها قبلها، فتقول:

- كم متراً طويلٌ زيدٌ؟
- كم درجةً قبيح هذا؟
- كم درجةً جميلٌ هو؟
- كم متراً طويلٌ العاملُ؟
- كم درجةً عظيمٌ المسروقُ؟
- كم درجةً متعبٌ العملُ؟

ولا تقع الصفة منفردة بعد «كم» وتمييزها، فلا تقول: كم درجةً قبيحٌ؟ من غير إضمار.

10 - استعمالات «أي»

يُطلب بـ «أي» تعيين الشيء ويُشترط أن تُضاف إلى اسم نكرة ظاهر أو مقدّر. فالظاهر كأن تقول «أيّ رجلٍ رأيت؟» والمقدّر أن تقول «أيّ هذا؟» فتعني «أيّ شيء في هذا؟» و«أيّهم؟» فتعني «أيّ واحدٍ منهم؟».

ويجوز في النكرة التي تُضاف إليها «أي» أن تكون:

اسماً غير مضمر، مثال: «أيّ رجلٍ رأيت؟»

اسم فاعل: «أيّ مقاتلٍ تريدُ؟»

اسم مفعول: «أيّ مسروقٍ وجدتَ؟»

مصدر: «أيّ عملٍ تعملُ؟»

أما ما يقع بعد «أي» ونكرتها فيجوز أن يكون:

فعلاً، كما رأينا في الأمثلة المذكورة.

ظرفاً يتبعه مضاف إليه، مثال: «أيّ رجلٍ عندكَ؟»

جار ومجرور: «أيّ مقاتلٍ في الدارِ؟»

اسم غير مضمر: «أيّ رجلٍ زيدٌ؟»

صفة: «أيّ رجلٍ طويلٌ؟»

ضمير منفصل: «أيّ رجلٍ هو؟»

اسم إشارة: «أيّ رجلٍ هذا؟»

اسم فاعل: «أيّ رجلٍ غالبٌ؟»

اسم مفعول: «أيّ رجلٍ مغلوبٌ؟»

مصدر: «أيّ فقرٍ عوزٌ؟»

وينتج عن التقديم والتأخير تغيير في «استراتيجية» الإبلاغ. فإن قلت مثلاً: «أيّ مغلوبٍ رجلٌ؟» كان موضوع سؤالك «مغلوب» وليس «رجل»، إضافة إلى إضفاء صبغة التعجّب على السؤال.

11 - جَدْوَلا أسماء الاستفهام لطلب التصوّر

وفي إطار الصياغة «الشكلانية» لما ورد في بحثنا بخصوص أسماء الاستفهام، نبدأ بإدخال المعلومات المذكورة بخصوص «مَنْ» و«ما» و«ماذا» و«متى» و«أيّان» و«أين» و«كيف» و«أنّى» في الجدول الإيضاحي رقم -1- . ثمّ نخصّ «كم» و«أيّ» بجدول إيضاحي منفرد: رقم -2-، لسبب وجوب ذكر تمييز بعد «كم» واسم نكرة مضاف إليه بعد «أيّ».

جدول رقم -1-

أسماء الاستفهام تُستعمل مع:	من	ما	ماذا	متى	أيّان	أين	كيف	أنّى
جملة فعليّة	+	+	+	+	+	+	+	+
ظرف يتبعه مضاف إليه	+	+	+	−	−	−	−	−
جار ومجرور	+	+	+	−	−	−	−	+
اسم غير مضمر	+	+	−	+	+	+	+	+
صفة	+	؟	−	−	−	−	−	−
ضمير منفصل	+	+	−	+	+	+	+	+
اسم اشارة	+	+	−	+	+	+	+	+
اسم فاعل	+	+	−	−	−	+	+	+
اسم مفعول	+	+	−	−	−	+	+	+
مصدر	−	+	؟	+	+	+	+	+

+ = يُستعمل

− = لا يُستعمل

؟ = ثقيل

جدول رقم - 2 -

اسما الاستفهام	1 كم: يكون تمييزها	2 أي: تضاف إلى	3 كم وتمييزها	4 أي والمضافة إليه	5 كم وتميزها واسم يدلّ على الكم	6 كم وتميزها ونعت
تُستعمل مع جملة فعليّة	–	–	+	+	–	–
ظرف يتبعه مضاف إليه	–	–	+	+	–	–
جار ومجرور	–	–	+	+	–	–
اسم غير مضمر	+	+	2,1	+	+	+
صفة	–	–	2	+	–	–
ضمير منفصل	–	–	2	+	–	+
اسم إشارة	–	–	2,1	+	+	+
اسم فاعل	+	+	2,1	+	+	+
اسم مفعول	+	+	2,1	+	+	+
مصدر	+	+	2,1	+	+	+

1- انظر عمود رقم 5

2- انظر عمود رقم 6

12 - معادلات أسماء الاستفهام

ويتضح من الجدول (1) أنّ «مَنْ» تُستعمل لتأليف جملة استفهامية مع أحد العناصر الآتية: (جملة فعلية، ظرف يتبعه مضاف إليه، جار ومجرور، اسم غير مضمر، صفة، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول). ونسمي هذه المجموعة -أ-.

وتُستعمل «ما» لتأليف جملة استفهامية مع أحد العناصر الآتية: (جملة فعلية، ظرف يتبعه مضاف إليه، جار ومجرور، اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -ب-.

وتُستعمل «ماذا» لتأليف جملة استفهامية مع العناصر الآتية: (جملة فعلية، ظرف يتبعه مضاف إليه، جار ومجرور). ونسمي هذه المجموعة -ج-.

وتُستعمل «متى» و«أيّان» لتأليف جملة استفهامية مع العناصر الآتية: (جملة فعلية، اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -د-.

وتُستعمل «أين» و«كيف» لتأليف جملة استفهامية مع العناصر الآتية: (جملة فعلية، اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -هـ-.

وتُستعمل «أنّى» لتأليف جملة استفهامية مع العناصر الآتية: (جملة فعلية، جار ومجرور، اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -و-.

ويوضح الجدول (2) أنّ تمييز «كم» يكون أحد العناصر الآتية: (اسم غير مضمر، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -ز-.

وتُستعمل «كم» بصحبة تمييزها مع أحد العناصر الآتية: (جملة فعلية، ظرف يتبعه مضاف إليه، جار ومجرور). ونسمي هذه المجموعة -ك-.

وتُستعمل «كم» بصحبة تمييزها واسم يدلّ على الكم مع أحد العناصر الآتية: (اسم غير مضمر، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -ل-.

وتُستعمل «كم» بصحبة تمييزها ونعت مع أحد العناصر الآتية: (اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -م-.

وتُضاف «أيّ» إلى أحد العناصر الآتية: (اسم غير مضمر، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). وهذه المجموعة -ز- المذكورة سابقاً.

وتُستعمل «أيّ» بصحبة المضاف إليه مع أحد العناصر الآتية: (جملة فعلية، ظرف يتبعه مضاف إليه، جار ومجرور، اسم غير مضمر، صفة، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر). ونسمي هذه المجموعة -ن-.

ويمكن التعبير عن هذه المعلومات من خلال المعادلات الآتية: - وأهميّة المعادلات أنها تُظهر الترتيب الأساسي الذي تَظهر فيه العناصر في الجملة:

(1) معادلتا «مَنْ»

معادلة «مَنْ» الأولى:

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «مَنْ» + أ

يختار المتكلّم بحسب غرضه التعبيري وحدة تركيبية من الوحدات الداخلة في المجموعة -أ- المبيّنة أعلاه ويجعلها بعد «مَنْ» مؤلفاً بذلك جملة مفيدة.

وتنفرد «مَنْ» بضرورة تقدّم اسمها عليها في التركيب الآتي:

اسم غير مضمر -ا- + اسم استفهام لطلب التصوّر: «مَنْ» + اسم -ا-

ملاحظة: يوضع الرقم نفسه -ا- بعد الوحدات ذات المرجع الواحد.

ملاحظة: يوضع الرقم ذاته -ا- بعد الوحدات ذات المرجع الواحد.

ومثال ذلك أن تقول:

- سيّدُ مَنْ عمرو؟
- سيّدُ مَنْ هو؟
- سيّدُ مَنْ هذا؟
- صاحبُ مَنْ العاقلُ؟
- قريبُ مَنْ المقتولُ؟

فالوحدات التي تقع بعد من في هذا النوع من التراكيب تشكّل المجموعة الآتية: (اسم غير مضمر، ضمير منفصل، اسم إشارة، اسم فاعل، اسم مفعول). ونسمّي هذه المجموعة -ص-.

فإن قدّمت «مَنْ» قلت: «مَنْ سيّدُ عمرو؟» أو «مَنْ سيّدُ هو؟» أو «مَنْ سيّدُ هذا؟» أو «مَنْ صاحبُ العاقلِ؟» أو «مَنْ قريبُ المقتولِ؟»، تغيَّر المعنىٰ إذ لا يعود للاسم الذي كان قبل «من» وللاسم الذي كان بعدها مرجع واحد، فـ «سيّد» و«عمرو» مثلا يدلان على شخصين مختلفين في «مَنْ سيّد عمرو؟» - فالسؤال هنا عن السيّد-، في حين يدلان على شخص واحد في «سيّد من عمرو؟»- فالسؤال هنا عن المسود-. أما بالنسبة إلى «من سيّد هو؟» فلا بدّ من تحويل الضمير المنفصل إلى ضمير متّصل كي تجوز الجملة، فتقول «من سيّدُه؟». ولكي تؤدي معنى «سيّد من عمرو؟ مع تقديم «مَنْ»، لابدّ من زيادة ضمير بعد سيّد»، فتقول «من سيّدُه عمرو؟»، وتكون الهاء عائدة إلى «مَنْ». وتدلنا الزيادة الضرورية للهاء أنّ تقديم الاسم الظاهر «سيّد» أو «صاحب» أو «قريب» على «من» هو الأصل، وتأخيره مع زيادة الهاء عليه فرع على الأصل يتناسب مع وضع كلامي معيّن، حيث يسأل المتكلّم عن هويّة «من» داخل المجموعة محصورة وحاضرة. أما قولك «سيّدُ مَنْ عمرو؟»، وتكون الهاء عائدة إلى «مَنْ». وتدلّنا الزيادة الضرورية للهاء أنّ تقديم الاسم الظاهر «سيّد» أو «صاحب» أو «قريب» على «من» هو الأصل، وتأخيره مع زيادة الهاء عليه فرع على الأصل يتناسب مع وضع كلامي معيّن، حيث يسأل المتكلّم عن هويّة «من» داخل مجموعة محصورة وحاضرة. أما قولك «سيّدُ مَنْ عمرو؟» فلا يستلزم هذه الشروط.

أما أسماء الاستفهام الأخرى، فإنه وإن جاز تقديم أسماء عليها كأن تقول «هذا، متى؟» أو «المسروقُ أيْنَ هو؟»..، فالتقديم فرع والتأخير أصل.

وبذلك تكون المعادلة الثانية ل «مَنْ» كالآتي:

اسم غير مضمر -ا- + اسم استفهام لطلب التصوّر: «مَنْ» + ص-ا- - يوضع الرقم ذاته -ا- بعد الوحدات ذات المرجع الواحد -

(2) معادلة «ما»

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «ما» + ب

(3) معادلة «ماذا»

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «ماذا» + ج

(4) معادلة «متى» و «أيّان»

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «متى» أو «أيّان» + د

(5) معادلة «إينَ» و «كَيْفَ»

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «أينَ» أو «كيْفَ» + هـ

(6) معادلة «أنّى»

2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «أنّى» + و

(7) معادلات «كَم»

المعادلة الأولى:

3 2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «كَمْ» + تمييز: ز + ك

المعادلة الثانية

4 3 2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «كَمْ» + تمييز: ز+ اسم يدلّ على الكَم+ل

المعادلة الثالثة

4 3 2 1

اسم استفهام

لطلب التصوّر: «كَمْ» + تمييز: اسم غير مضمر يدلّ على قياس+نعت+م

(8) معادلة «أيّ»

3 2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: «أيّ» + ز + ن

(9) معادلة واحدة ل «أيّ» و «كَمْ»

هناك تشابه بين معادلة «كم» الأولى ومعادلة «كم» الثانية ومعادلة «أيّ». فمن الممكن دمجها في معادلة أساسية -ب-، مع زيادة قواعد سياقية:

4 3 2 1

اسم استفهام لطلب التصوّر: { كَمْ الأولى / كَمْ الثانية / أيّ } +ز+ { ك / اسم يدل على الكم / ن } + ل

القاعدة السياقية -ج-: إذا كان اسم الاستفهام لطلب التصوّر «أي» يختار المتكلم الجزء 3 في المعادلة من المجموعة ن، أما إذا كان يستفهم ب«كم» فيختار الجزء 3 من المجموعة ك أو يختار: اسماً يدل على الكم + وحدة من المجموعة ل، وذلك بحسب غرضه التعبيري ومتطلبات التخاطب مع السامع[10].

ويمكن إدخال جميع معادلات «كم» مع معادلة «أي» في المعادلة الأساسية - ب -، فتصبح كالآتي:

	1	2	3	4			
اسم استفهام لطلب التصوّر:	كمْ الأولى كمْ الثانية كمْ الثالثة أيّ	+	ز ع	+	ك اسم يدلّ على الكم نعت ن	+	ل م

تساوي -ع-: اسم غير مضمر يدلّ على قياس.

وبذلك تصبح القاعدة السياقية -ج- كالآتي:

إذا كان اسم الاستفهام لطلب التصوّر «أيٌّ» يختار المتكلم الجزء 3 في المعادلة من المجموعة ن.

أما إذا كان يستفهم ب «كم»

فإن اختار في الجزء 2 من المعادلة وحدة من المجموعة ز، يختار الجزء 3 من المجموعة ك أو يختار: اسماً يدل على الكم + وحدة من المجموعة ل؛

وإن اختار في الجزء 2 من المعادلة وحدة من المجموعة ع، يختار في الجزء 3 نعتاً وفي الجزء 4 وحدة من المجموعة م. وكلّ ذلك بحسب غرضه التعبيري ومتطلبات التخاطب مع السامع.

وبإضافة أسماء الاستفهام الباقية وما تستوجبه إلى المعادلة الأساسية -ب- تصبح كالآتي:

1	2		3		4				
اسم استفهام لطلب التصور:	من -1-	+	أ-1-	+	ك	+	ل	+	م
	ما -2-		ب-2-		اسم يدلّ على الكم				
	ماذا -3-		ج-3-		نعت				
	متى أو أيّان -4-		د-4-						
	أين أو كيف -5-		هـ-5-						
	أنّى -6-		و-6-						
	كم الأولى		ز						
	كمْ الثانية								
	كمْ الثالثة		ع						
	أي		ن						

تساوي -ع-: اسماً غير مضمر يدل على قياس.

وتستوجب هذه المعادلة إضافة القاعدة السياقية -د- الآتية:

يجب في الوحدة التركيبية المتحققة في الجزء الثاني من المعادلة أن تحمل مجموعتها رقم اسم الاستفهام المتحقق في الجزء الأول من المعادلة. ولا يدخل أي عنصر من الجزء الثالث والرابع من المعادلة في تحقيق المعادلة إلا إذا كان اسم الاستفهام لطلب التصوّر «كمْ» أو «أيُّ»، فإن كان كذلك تنطبق القاعدة السياقية -ج-.

وتنفرد «مَنْ»، إضافة إلى دخولها في المعادلة الأساسية، بالمعادلة الآتية -هـ-:

اسم غير مضمر -1- + اسم استفهام لطلب التصوّر: «مَنْ» + ص -1-

- يوضع الرقم نفسه -1- بعد الوحدات ذات المرجع الواحد-

محصلة عامة

وبذلك تكون معادلتا حروف وأدوات الاستفهام الأساسيتين كالآتي:

حرف استفهام + جملة اسمية + (معادل أداة الاستفهام + جملة اسميّة)

جملة فعليّة — جملة فعليّة

1 2 3 4

اسم استفهام

لطلب التصور:

1	2	3	4
	من -1-	+	أ-1-
	ما -2-		ب-2-
	ماذا -3-		ج-3-
	متى أو أيّان -4-		د-4-
	أين أو كيف -5-		هـ-5-
	أنّى -6-		و-6-
	كمْ الأولى		ز
	كمْ الثانية		
	كمْ الثالثة		ع
	أيُّ		ن

4 = ك + (اسم يدلّ على الكم + ل) + (نعت + م)

تساوي -ع-: اسم غير مضمر يدلّ على قياس.

من الظاهر أن المعادلة التي تخص همزة الاستفهام و «هل» تختلف في تركيبها بشكل جذري عن المعادلة التي تخص أسماء الاستفهام إذ إنهما حرفان وليسا اسمين، ولكن النحويين لم يحملوا هذا التباين بين الهمزة و «هل» من جهة وأسماء الاستفهام من جهة أخرى إلى الحد الذي تفرضه وقائع اللغة.

فزيادة على كون الهمزة و«هل» ينتميان إلى صنف خاص. نُظهر في الفقرة 3.1 و 4.1 أن همزة الاستفهام لا تستعمل لطلب التصور كأسماء الاستفهام وإنما تستعمل لطلب: -الانتقاء و- التصديق

وتستعمل «هل» لطلب التصديق فقط.

ومن المهم أن نلاحظ أن «هل» و «الهمزة» لا يستعملان كأسماء الاستفهام لطلب التصور، ولا تستعمل أسماء الاستفهام كما تستعمل الهمزة لطلب الانتقاء ولا كما تستعمل «هل» لطلب التصديق.

وبذلك لم يعد من الممكن القبول باعتبار «الهمزة» أصل أدوات الاستفهام، إنما هي تؤلف مع «هل» مجموعة منفردة في باب الاستفهام تختص بما يلي:

1- تركيب معادلتها.

2- انتماؤها إلى صنف الحروف.

3- اختصاصها بطلب التصديق

4- اختصاص الهمزة بطلب الانتقاء.

وتؤلف أسماء الاستفهام مجموعة أخرى في باب الاستفهام تختص بما يلي:

1- تركيب معادلتها الأساسية.

2- انتماؤها إلى صنف الأسماء.

3- اختصاصها بطلب التصور.

4- اختصاص «مَنْ» بمعادلة تبتدىء باسم غير مضمر.

وإن أردنا اتباع منطق النحويين في اختيار عنصر من كل مجموعة باعتباره أصل هذه المجموعة، اخترنا من المجموعة الأولى الهمزة، ومن المجموعة الثانية «مَنْ».

ففي المجموعة الأولى تتميز الهمزة عن «هل» بأنها تحمل معنيين للاستفهام، معنى التصديق ومعنى الانتقاء، في حين تحمل «هل» معنى التصديق فقط.

وفي المجموعة الثانية تتميز «مَنْ» عن بقية أسماء الاستفهام بأنها تدخل في تركيب أصله تقدم اسم غير مضمر عليها، في حين الأصل في تراكيب أسماء الاستفهام الأخرى أن تتصدر جملتها.

وربما تبيّن للقارئ أن حجتنا في جعل «مَنْ» أصل بابها تركيبية موقعيّة، إذا اعتمدنا على إمكانية تقدم اسم غير مضمر عليها وجوباً، في حين حجتنا في جعل الهمزة أصل بابها دلالية، إذ اعتمدنا على إمكانية أن تكون الهمزة للانتقاء أو للتصديق. ونوعا الحجتين مستعملان في النحو العربي في أبواب شتى.

معجم المصطلحات والإشارات

أفهوم:

- مصطلح نظري عام يسمح تطبيقه على المعطيات بتنظيمها وربطها بعضها ببعض.

انتقاء:

- الاستفهام لطلب الانتقاء استفهام يحدد احتمالين يطلب إلى السامع انتقاء واحد منهما.

تصديق:

- الاستفهام لطلب التصديق استفهام يُجاب عنه بحرف إيجاب - مثال «نعم»، أو بحرف نفي -مثال «لا».

تصوّر:

- الاستفهام لطلب التصور: يشترط في جوابه أن يدل على فرد ما - «من» أيّ-، أو شيء ما - «ماذا»-، أو زمن ما - «متى» و «أيّان» و «أنّى»-، أو مكان ما

- «أين» و«أنّى»- أو حالة ما - «كيف» و«أنّى»، بحسب اسم الاستفهام المستعمل في السؤال.

حاصرتان:

- تعني الحاصرتان أن المتكلم ينتقي مُلزماً، لتأليف جملة استفهامية، عنصراً واحداً فقط من العناصر الواقعة داخل { }، وتفصل الفواصل في المجموعات بين العناصر المختلفة، كما تظهر العناصر منفصلة بعضها عن بعض في ترتيب أفقي داخل المعادلات.

+ (زائد):

- تعني الإشارة + أنّ ما يقع قبلها وما يقع بعدها يتلاحقان عند تحقيقها في الكلام لتكوين جملة مفيدة.

معادل:

- أداة تسمح للجملة الاستفهامية المبدوءة بهمزة أو ب «هل» أن تضمّ إليها جملة أسمية أو فعلية.

معادلة:

- نقصد بـ «المعادلة» تركيباً تجريدياً يدل على جميع تحقيقات أداة - أو أدوات - الاستفهام المنوطه بالمعادلة، من حيث موقعها في الجملة والعناصر التي يمكن أن تقع بعدها مباشرة.

هلالان:

- ما يوضع بين هلالين يجوز فقط للمتكلم ضمّه إلى ما قبله أو عدم ضمّه بتاتاً.

الهوامش والمراجع

(1) ونخص ابن هشام لأنه من النحويين المتأخرين، فلقد جمع أقوال من سبقه. واعتُبر ابن هشام أنحى من سيبويه، قال ابن خلدون: «ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه».

(2) إنّ دور الهمزة في «أزيد قاسم أم عمرو؟» لا يختلف عن دورها في «أزيد خير أم عمرو؟» برغم أنه يمكن السكوت على «أزيد قائم؟» - ليصبح الاستفهام للتصديق - ولا يمكن السكوت على «أزيد خيرٌ؟». وتفسير ذلك أن الفرق لا ينتج عن طبيعة الألف وإنما عن طبيعة خبر المبتدأ الأول. فالخبر «خيرٌ» يستدعى مقارنة ويطلب تكملة للجملة. فإن حوّلته إلى «خيِّر» أمكن السكوت عليه كما في المثال الأول.

(3) كما يمكن أن يكون قد تبيّن للقارىء، نتّبع في بحثنا هذا منطق التعميم وصياغة المعادلات المتبع في النحو التحويلي. ونذكر على سبيل المثال المراجع الأساسية الآتية:

- (Chomsky, Noam: Knowledge of language. Its nature, origin, and use. U.S.A., Ed. Convergence 1986).

- (Dubois, Jean: Elements de linguistique francaise. Syntaxe. Paris, Librairie Larousse, sans date).

- (Radford, Andrew: Transformational grammar. Cambridge, 1992. First ed. 1988).

(4) انظر بالنسبة لاستعمال أدوات الاستفهام بشكل عام: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، قدّم له وعلّق على حواشيه وأعرب شواهده وفهرسه الدكتور: أحمد سليم الحمصي والدكتور محمد احمد قاسم، طرابلس، لبنان: دار جروس، 1990، ص 146.

ابن هشام، جمال الدين ابن هشام الأنصاري: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جـ1، تحقيق الدكتور مازن مبارك ومحمد علي حمدالله، راجعه سعيد الأفغاني، القاهرة: دار الفكر، بدون تاريخ، ص 243-246,390-394, 431-435.

(5) يتحدث كريفيس

- Creuisse, Maurice: Le bon usage. Paris, Duclot, 1986, p.626

بخصوص أمثلة مشابهة في الفرنسية عن الاستفهام الفاصل interrogation disjonctive

(6) انظر بالنسبة لعطف الجمل (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص 630، 632.

(7) انظر بشكل خاص، بالنسبة لاستعمالات أسماء الاستفهام، (نور الدين،عصام): **الإعراب والبناء**، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1993، ص 152، 171 والراجحي، عبده: **التطبيق النحوي**، بيروت: دار النهضة العربية، 1988، ص 59-64.

(8) نشكر هيئة المحكمين على تنبيهنا على وجود هذه الآية.

(9) انظر بالنسبة لاستعمالات «أنّى»، السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن، 849-911 هجريه: **الإتقان في علوم القرآن**، حـ1، الطبعة الثانية، تقديم وتعليق الدكتور: مصطفى ديب البُغا، دمشق - بيروت: دار ابن كثير، 1993، ص 495.

(10) انظر بالنسبة لأفهوم «متطلبات» contraintes - موشلير:

- Moeschler, J.: Argumentation et conversation. Paris, Hatier, 1985, p.12.. itc.